

مروان الأحدب

أقاصيصُ رومانيّة

غوصوا في قلبِ الإمبراطوريّة!



سمير

أقاصيصُ رومانيّة

غوصوا في قلبِ الإمبراطوريّة!

نُشِر للمرّة الأولى باللّغة الفرنسيّة لدى سمير دار نشر، في العام 2013،
تحت عنوان: NOUVELLES ROMAINES.

تصميم الغلاف والرّسوم: لو جال وشَسّانْيار
مراجعة التّرجمة والتّدقيق: إليسار صانِع أَسمَر

سنّ الفيل، الجسر الواطي
صندوق بريد 55542 بيروت، لبنان
www.samirediteur.com
ISBN 978-9953-31-887-5

مروان الأحدب

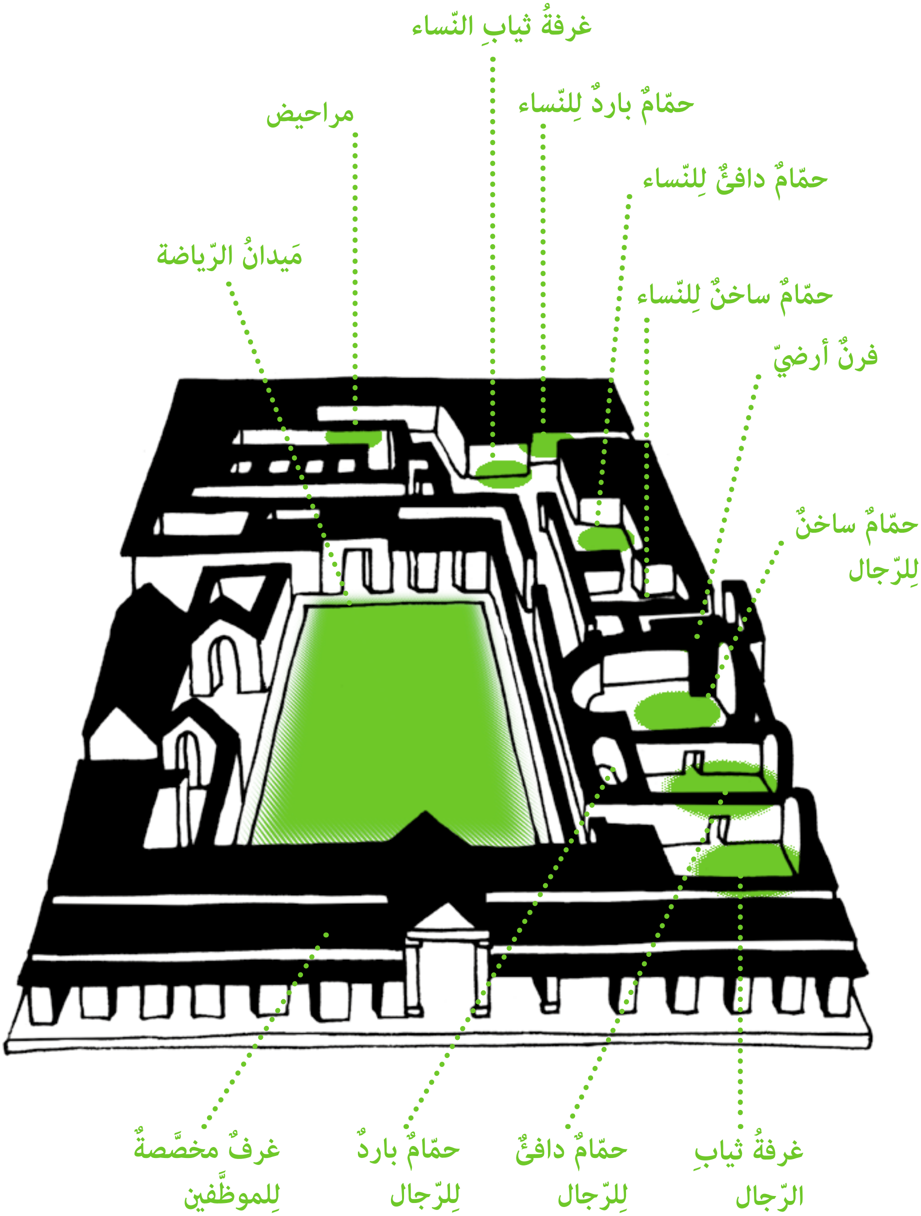
أقاصيصُ رومانيّة

غوصوا في قلبِ الإمبراطوريّة!

ترجمه من اللّغة الفرنسيّة
الدّكتور جوزيف أبو نجم

شكر خاصّ للسّيّد ستيفان تيلْيِه،
المتخصّص في العالم اليونانيّ - الرّومانيّ،
لتدقيقه في النّصّ الفرنسيّ، ولآرائه السّديدة.

سمير



غرفةُ ثيابِ النّساء
حمّامٌ باردٌ لِلنّساء
مراحيض
حمّامٌ دافئٌ لِلنّساء
مَيدانُ الرّياضة
حمّامٌ ساخنٌ لِلنّساء
فرنٌ أرضيّ
حمّامٌ ساخنٌ لِلرّجال
غرفٌ مخصّصةٌ لِلموظّفين
حمّامٌ باردٌ لِلرّجال
حمّامٌ دافئٌ لِلرّجال
غرفةُ ثيابِ الرّجال

حمّامات

لقدْ سُرِقَ مالي!

مرارةُ عبدٍ مُعتَقٍ في الحمّامات

ذاتَ عصر، دوّى صراخٌ في أحدِ حمّاماتِ روما، بلغَ أقاصِيَ المراحيض:

— لنْ يمرَّ الأمرُ بِهذِهِ البساطة!

إثرَ ذلك، خرجَ رجلٌ يستشيطُ غضبًا منْ غرفةِ الثّياب، وَقدْ لفَّ مِنشَفةً حولَ خصرِه، ثمَّ تقدّمَ بخُطًى واثقةٍ نحوَ المدخلِ المُفضي إلى الغرفِ المخصَّصةِ لِلموظّفين، وَصرخَ في أوّلِ عبدٍ التقاه:

— دُلَّني على معلّمِك!

فَتلعثمَ العبدُ قائلًا:

— إنَّ كايوس كورْنيلْيوس كالْفوس مشغول...

وَمعَ أنَّ الخادمَ كانَ مَهيبَ الطّلعة، إلّا أنَّ الرّجلَ أزاحَهُ بِظهرِ يدِهِ وَدخلَ مكتبَ المسؤول.

— يؤسفُني، يا كايوس كورْنيلْيوس، أنْ أُعلمَكَ بِأنَّ لصًّا يتخفّى بينَ عبيدِك..! إذا لمْ يُعِدْ إليَّ مالي حالًا، فَسوفَ أبلّغُ عنِ السّرقةِ أوّلَ شرطيٍّ حمّاماتٍ balnearius ألتقيهِ وَأنا

خارج، كيْ يعتقلَ فورًا رجالَكَ كلَّهُم، لعلَّ حاكمَ المدينةِ يقتصُّ منْهُمْ جميعًا!

بدا انبهارُ المسؤولِ واضحًا بِطلاقةِ لسانِ هذا الرّجلِ الّذي دخلَ عليْهِ عَنوةً. فَصمتَ لحظةً، ثمَّ قالَ بِهدوء:

– أشكرُ لَكَ إعلامي بِهذهِ المسألة. وَكنْ على ثقةٍ بِأنَّ السّارقَ سَيدفعُ حياتَهُ ثمنًا لِفعلتِه، إنْ تبيّنَ أنَّهُ أحدُ عبيدي.

عندَ سماعِ هذهِ الكلمات، هدأَ الرّجل. فَأردفَ المسؤولُ قائلًا:

– وَلٰكن، أَخبرْني ما جرى بِدقّة.

– حسنًا، إليْكَ ما حصل... لدى وصولي إلى الحمّام، كنْتُ أحملُ مبلغًا عظيمًا منَ المال. لِذا، وَمنْ أجلِ عدمِ لَفْتِ الأنظارِ طبعًا، حرَصْت، بعدَما خلعْتُ ثوبي في غرفةِ الثّيابِ apodyterium، على أنْ أُخفيَ المبلغَ بِعنايةٍ تحتَ طيّاتِه، في مؤخَّرِ مِشْكاة، حيثُ يَصعبُ الوصولُ إليْه. وَحينَما اطمأنَّتْ نفسي، ذهبْتُ أسترخي في مؤسّستِكُم. وَلٰكن، عندَما عدْتُ قبلَ قليلٍ لِألبَسَ ثوبي، وجدْتُ كلَّ شيءٍ قدِ اختفى: المالَ وَالثّوب..!

أجابَ المسؤول:

– فهمْت...

وَسكتَ لحظةً ثمَّ أضاف:

– إذا كانَ الفاعلُ أحدَ عبيدي، فَكُنْ على ثقةٍ بِأنَّني لنْ أجدَ أيَّ صعوبةٍ في اكتشافِ هُويّتِه؛ أنا أعرفُ تمامًا دوامَ

عملِ رجالي... وَلٰكن، فقطْ كيْ تسمحَ لي بِمساعدتِك، يجبُ أنْ تحدّدَ لي لحظةَ وصولِكَ إلى الحمّام. وَعليْه، يمكنُني أنْ أعرفَ اسمَ العبدِ المعيَّنِ لِمراقبةِ غرفةِ الثّيابِ في ذلكَ الوقت.

فَأجابَ الرّجل:

– آه... إنَّني هنا منذُ عدّةِ ساعات.

– كَذلك... أنا في حاجةٍ إلى تفاصيلَ أكثر. فَالحمّامُ يضمُّ ما لا يَقِلُّ عنْ خمسينَ عبدًا، كَما تعلم.

– حسنًا... وَأنا أمرُّ في حقلِ مارس منذُ قليل، خُيِّلَ إليَّ أنَّ المِزْوَلةَ تشيرُ إلى الثّامنة، أوْ ربَّما إلى التّاسعة... لمْ أعدْ أدري. كانَتِ السّماءُ ملبَّدةً بِالغيومِ بِحيثُ إنَّ ظلَّ المسلّةِ كانَ خفيفًا يكادُ لا يُرى.

فَفكّرَ المسؤولُ قليلًا، ثمَّ قال:

– سَنعملُ على هذا النّحو: أنتَ تخبرُني بِالتّفصيلِ كلَّ ما قمْتَ بِهِ منذُ لحظةِ وصولِكَ إلى هنا، وَأنا أتكفّلُ بِتحديدِ ساعةِ وصولِكَ تمامًا. هلْ يمكنُكَ ذلك؟

أجابَ الآخَرُ بِحماسة:

– أجل، بِالتّأكيدِ يا كايوس كورْنيلْيوس!

وَلِلحال، بدأَ يَسرُدُ قصّتَه.

– إذًا، بعدَ أنْ خلعْتُ ثوبي في غرفةِ الثّياب، رأيْتُ منَ الأفضلِ أوّلًا أنْ أقومَ بِبعضِ التّمارينِ الرّياضيّة. فَعملي اضطَرَّني

إلى قضاءِ الصّبيحةِ كلِّها في السّوق، وَوجدْتُ أنَّ بعضَ التّمارينِ في الهواءِ الطّلْقِ سَيُفيدُني كثيرًا. لٰكنْ، ما كدْتُ أدخلُ مَيدانَ الرّياضةِ حتّى عرفْتُ خطئي. فَبينَ صراخِ الرّبّاعين، وَتدافُعِ المُجالِدين، وَتسابُقِ العَدّائين، ورَمي اللّاعبينَ الكراتِ منْ ناحيةٍ إلى أخرى في الملعب، لمْ يتبقَّ أيُّ مكانٍ شاغرٍ لِلتّمرُّنِ بِهدوءٍ وَسلام..! ثمَّ رصدْتُ زاويةً هادئةً قربَ الحديقة. إلّا أنَّني، عندَما همَمْتُ بِالاقترابِ منْها، ظهرَ فجأةً، منْ حيثُ لا أدري، ثلاثةُ حَمْقى، وَراحوا يلعبونَ بِالنّردِ وَهُمْ يتلفّظونَ بِالشّتائمِ كَالمخمورين.

– إذًا، هلْ غادرْتَ مَيدانَ الرّياضة؟

– نعم... معَ أنَّ فكرةً مؤثِّرةً راودَتْني في البدايةِ لِشاعرِنا الكبيرِ يوفينال، الّذي يُشيدُ بِمزايا «الفكرِ السّليمِ في الجسمِ السّليم». وَأظنُّ أنَّ هذهِ الفكرةَ قدْ شغلَتْني وقتًا طويلًا...



يوفينال
(حوالى 60–حوالى 130)

– أُلاحظُ ذلك. وَماذا فعلْتَ منْ بعد؟

– لِأنَّني لمْ أستطعِ التّمرُّن، رأيْتُ منَ الأنسبِ أنْ أتركَ الحمّامَ الباردَ لِوقتٍ لاحق، وَانتقلْتُ مباشَرةً إلى الحمّامِ الدّافئِ tepidarium... وَبِأيِّ حال، لقدْ أحسنْتُ عملًا، لِأنَّ القاعةَ كانَتْ نصفَ فارغة، حتّى إنَّني تمكّنْتُ منَ الجلوسِ على هوايَ لِأعتادَ الحرارة.

– وَهلْ تذكرُ بعضَ التّفاصيلِ إبّانَ جلوسِكَ هناك؟

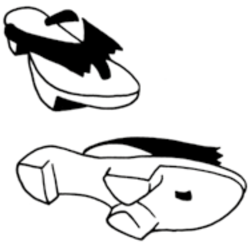
– في الواقع... عندَما جلسْتُ مكاني شممْتُ رائحةً لطيفة، فَقلْتُ في نفسي: «لا بدَّ منْ أنَّ الحيطانَ قدْ طُلِيَتْ بِطبقةٍ جديدةٍ منَ الدّهانِ المعطَّر».

– ماذا عنِ الأشخاصِ الّذينَ كانوا جالسينَ معَكَ في القاعة؟

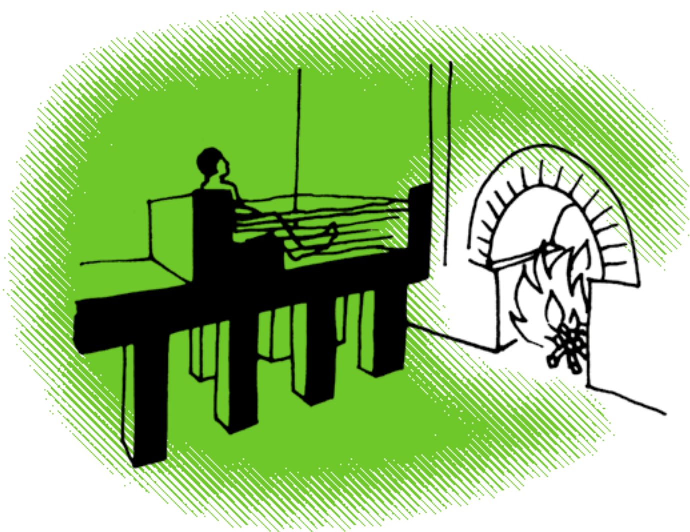
– حسنًا، في الحقيقة، إنَّ أحدًا منْهُمْ لمْ يَنبِسْ ببنتِ شفة. حتّى الّذينَ بدَوا على موعد... هذا ما كان، على الأقلّ، مستغرَبًا. منْ جهةٍ أخرى، وَذاتَ لحظة، انتعلَ أحدُ الرّجالِ قَبْقابَهُ الخشبيَّ كَما لوْ كانَ في الحمّامِ السّاخن، بينَما الأرضيّةُ تكادُ تكونُ فاترةً... وَلٰكن، تخطرُ في بالي فكرة: الفرنُ الأرضيّ!

– ما بِه؟

– لا بدَّ منْ أنَّ العبدَ خبّأَ مالي هناك..! هذا مؤكَّد! إنَّ حرارةَ الفرنِ شديدةٌ لِلغايةِ بِحيثُ يَخشى أيُّ كانَ المخاطرةَ بِالنّزولِ إلى تحت..!



قَبقابٌ خشبيّ



فرنٌ أرضيّ

– إذا كانَ الأمرُ بِحسَبِ ما تُخبر، فَلا تخشَ شيئًا. مالُكَ في مكانٍ آمن. لِنعُدْ إلى مسألتِنا: أمِنْ أمرٍ آخَرَ لاحظْتَهُ في الحمّامِ الدّافئ؟

فكّرَ الرّجلُ لحظةً، ثمَّ قال:

– في الواقع، لا... حينَما شعرْتُ بِأنَّني جاهز، انتقلْتُ إلى الحمّامِ السّاخن.

– وَهلْ بقيْتَ هناكَ طويلًا؟

– لا. فَالحرارةُ هناكَ شديدةٌ جدًّا عليّ، وَلا أستطيعُ احتمالَها. عادةً، أَغطِسُ في أحدِ الأحواضِ لِأبرّدَ جسمي قليلًا، وَلٰكن، هذهِ المرّةَ أيضًا، يبدو أنَّ كلَّ الموجودينَ قدْ فكّروا في الأمرِ نفسِه. فَعندَما قرّرْتُ القيامَ بِغطسة، لمْ أجدْ في الماءِ مكانًا أضعُ فيهِ رِجلَيّ... فضلًا عنْ ذلك، في المَغطِسِ البرونزيِّ حيثُ أحبُّ أنْ أسترخيَ وحيدًا، وجدْتُ القنصلَ يُنهي استحمامَه.

فَقالَ المسؤولُ متعجِّبًا:

– القنصل..؟! أيُّ قنصل؟!

فَأجابَ الرّجلُ متفاجِئًا:

– ذاكَ الّذي ذكرْتُهُ منذُ قليل...

وَعندَما انتبهَ إلى أنَّهُ لمْ يأتِ على ذكرِهِ منْ قبل، أردفَ قائلًا:

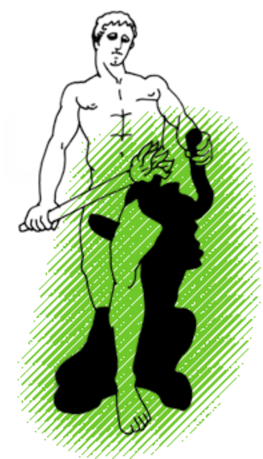
– المعذِرة... المعذِرة يا كايوس كورْنيلْيوس..! أينَ رأسي؟ لقدْ نسيْتُ أنْ أذكرَ أنَّ قنصلًا كانَ موجودًا كَذلكَ في الحمّامِ الدّافئِ عندَما كنْتُ فيه. أنا أقولُ «قنصلًا» وَلٰكن، قدْ يكونُ بريتور praetor (أيْ حاكمًا شرعيًّا) أوْ مسؤولًا عنِ الشّؤونِ



حَوْجَلة



كاشطةٌ منظِّفة



هِرَقْل

الماليّة... على أيِّ حال، لمْ يهدإِ العبيدُ الّذينَ كانوا يرافقونَه... وَكانَ الرّجلُ منَ الضّخامةِ بِحيثُ اضطُرَّ المدلِّكُ unctor إلى أنْ يسكُبَ كلَّ ما في حَوجَلتِهِ منْ زيتٍ لِيدهنَ بِهِ جسمَ معلّمِهِ كاملًا! وَبينَما كانَ يدلِّكُ ساقَيْه، كانَ آخَرُ يُمسِّدُ ذراعَيْهِ بقوّة. بعدَ ذلك، راحَ ثالثٌ يَكشِطُ جلدَهُ بِدقّة... وَقدْ دامَ الأمرُ طويلًا إلى حدٍّ ما لبثْتُ معَهُ أنْ غضضْتُ الطّرْف... وَلٰكن، عندَما وضعَ العبدُ الكاشِطةَ على المقعدِ قربي، وَلاحظْتُ مذعورًا، سماكةَ الأوساخِ الّتي تجمّعَتْ على طرفِ الأداةِ المعقوف، لمْ أستطعْ أنْ أتمالكَ نفسي، فَقلْت: «بِحقِّ هِرَقْل! لا بدَّ منْ أنَّ هذا الرّجلَ لمْ يستحمَّ منذُ شهرٍ أوْ أكثر!».

صمتَ المسؤولُ لحظةً، ثمَّ قال:

– إذا كنْتُ قدْ أحسنْتُ الفهم، فَإنَّ هذا الشّيخَ قدْ دخلَ الحمّامَ السّاخنَ قبلَك...

– في الواقع، أجل... وَلٰكن، قبلي بِقليل. وَلِأنَّني لمْ أستطعْ تبريدَ جسمي، فَقدْ سارعْتُ في الذّهابِ إلى الحمّامِ البارد.

– وَماذا فعلْتَ بعدَ اغتسالِكَ في الحمّامِ البارد؟

– جلسْتُ على المدرَّجات.

– ثمَّ..؟

– ثمَّ استغرقْتُ في النّوم.

– اِستغرقْتَ في النّوم؟

– ذلكَ أنَّ تلكَ القاعةَ معتِمةٌ جدًّا!

– طبعًا. وَهلْ تظنُّ أنَّكَ استغرقْتَ طويلًا في النّوم؟

فهرس

لقدْ سُرِقَ مالي! 5

القتالُ الأخير 27

وليمةٌ عاديّة 47

حصّةُ الآخَر 67

حُبٌّ ممنوع 87

الشّاعرُ وَعضوُ مجلسِ الشّيوخ 107

رجالُ الأميرِ يصلون! 129

طُبِع لدى مطابع دار الكتب - دوتس،
في بيروت، في آذار/ مارس 2017

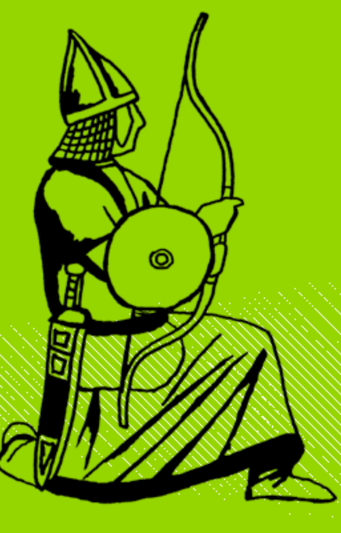


روما، مدينةُ التّلالِ السّبع، عاصمةُ العالَم...
كثيرةٌ هيَ صفاتُ عظمةِ الإمبراطوريّةِ الّتي حكمَت، منَ القرنِ الأوّلِ إلى الخامس، مَنطِقةً واسعةً منْ أوروبّا، وَإفريقيةَ الشّماليّةِ وَآسيا الغربيّة.
أمّا الرّومان، فَهلْ تعلمونَ ما كانَتْ أحوالُهم؟ ما كانَتْ معيشتُهُم؟ أفكارُهُم؟
هلْ تعلمونَ مِهَنَهُم، وَمعتقداتِهِمْ، وَتَسالِيَهُم؟
هلْ تعلمونَ رغباتِهِم، وَمصادرَ قلقِهِم، وَآمالَهُم؟

هيَ سبعُ أقاصيصَ خياليّة - سبعُ أقاصيصَ مقابلَ سبعِ تلال - تُجيبُ تلكَ الأسئلةَ أعلاهُ بِطريقةٍ مُبتكَرة: فَالأبطالُ فيها يَعكِسونَ بِأمانةٍ نماذجَهُمُ الرّومانيّة، وَكلُّ التّفاصيلِ الّتي تحيطُ بِحياتِهِمْ إنَّما هيَ دقيقة.

بِفضلِ روعةِ الخيال، عيشوا منْ جديدٍ مغامرةَ روما الكبيرةَ.





www.samirediteur.com
ISBN 978-9953-31-887-5
9 789953 318875